سلسلة البحوث العلمية المحكمة ٥٧

منهج شيخ الإسلام ابن تيمية

في تقويم المخالفين في العقيدة

دراسة تطبيقية

تأليف
الدكتور أحمد بن عبد الرحمن القاضي
قسم العقيدة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية / جامعة القصيم

دار ابن الجوزي

منهج
شيخ الإسلام ابن تيمية
في تقويم المخالفين في العقيدة
دراسة تطبيقية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣٦هـ. لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية، الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٥٧

الرمز البريدي: ٣٢٢٥٣ - الرقم الإضافي: ٨٤٠٦ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨

جوّال: ٠٥٥٣٨٥٧٩٨٨ - الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٨١٣٧٠٦ - ٠٥٦٣٤٧٦٣٨٨ - بيروت

هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - الإسكندرية - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:

aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له القائل: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ، عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**» رواه مسلم[١].

أما بعد:

فإن العدل والإنصاف وإيتاء كل ذي حقٍّ حقَّه من خصائص الإسلام ومناقب هذه الأمة المحمدية؛ فقد شهد الله لها بأنها: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وعدَّلها وزكَّاها فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. قال ﷺ: «**والوسط العدل**»[٢]. فأكرم بها من شهادة، وأنعم بها من تزكية.

---

(١) (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.

وكلما كان العبد بالله أعلم وللعلم أحكم كان بالشهادة أقوم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨]. فلا انفكاك بين العدل والتقوى، ولا اجتماع بين القيام لله بالقسط واتباع الهوى؛ فكل قوَّام لله قوَّام بالقسط، وكل شهيد بالقسط شهيد لله.

وقد اعتصم أهل السُّنَّة والجماعة بهذا الأصل الأصيل، والتزموا بهذا المنهج الرشيد، وأبصروا الخلق من حيث أمر الخالق، ووزنوهم بالقسطاس المستقيم، فسبروا أحوال الرجال وتتبعوا المقالات ونظروا إليها بنور الله صيانة للملَّة، وحفظاً للشريعة. ولم يزل الله، بمنِّه وفضله يتعاهد هذه الأمة بورثة الأنبياء وعدول العلماء: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)[1].

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/٧) من حديث إبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري عن رسول الله ﷺ مرسلاً. وقد روي موصولاً عن جماعة من =

وكان من جملة هذه السلسلة الذهبية: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ الذي كان شامة في جبين الأمة المحمدية، وعلامة فارقة في تاريخ العقيدة الإسلامية؛ لما قام به من تجديد الدين على رأس القرن الثامن الهجري على مختلف الأصعدة؛ في: العقيدة، والسُّنَّة، والزهد، والسلوك، والجهاد، والسياسة. وما زالت آثاره باقية، وسيرته عطرة زاهية.

وقد حباه الله العلم والفهم وآتاه الحكمة وفصل الخطاب؛ فأشرف بثاقب نظره ودقيق فهمه وتأخر زمنه على ميراثين:

أحدهما: ميراث الأنبياء: من علوم الكتاب والسُّنَّة، وما

= الصحابة وهم: أبو هريرة، وأبو أمامة، وابن مسعود، وابن عباس، ومعاذ بن جبل، وعلي بن أبي طالب، وأنس.

ينظر للتوسع في تخريجه: إرشاد الفحول إلى تحرير النقول في تصحيح حديث العدول رواية ودراية ورعاية، تأليف: سليم بن عيد الهلالي، طبعة مكتبة الفرقان دبي.

واختلف العلماء في تصحيحه وتضعيفه اختلافاً كبيراً: فصححه الإمام أحمد نقله عنه الخلال في العلل كما مفتاح دار السعادة والإرادة (١/ ١٦٤)، وينظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (٢٩)، وصححه ابن القيم كما في طريق الهجرتين (٢/ ٧٧١).

وضعفه الدارقطني نقله عنه الزركشي في النكت على مقدمة ابن الصلاح (٣/ ٣٣٢)، وضعفه ابن القطان كما في بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٣/ ٣٧)، والعراقي كما في التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح (١٣٨)، والبلقيني كما في مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (٢٨٩).

صنَّفه صدر هذه الأمة من الفقهاء والمحدثين والأصوليين في مختلف أبواب الدين.

الثاني: ميراث الفلاسفة: من العلوم النظرية التي تعتمد العقل مرجعاً والمنطق آلةً ومنهجاً، وما صنَّفه المتأثرون بهم من أصناف المتكلمين الإسلاميين في أصول الدين.

فسلَّط الأول على الثاني فاجتاحه وغربله ورجَّه وبسَّه ونسفه نسفاً فصار ـ بعون الله ـ هباءً منبثاً، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وهو مع تلك الحجة البالغة وقوة العارضة على جانب كبير من العدل والإنصاف والتماس المعاذير ـ ما أمكن ـ والبعد عن التجني في الأحكام والإسفاف في الألفاظ؛ لأنه يفعله تعبداً لله ونصرة لسُنَّة رسول الله لا لحظ نفسه ولا عصبية لشخصه، بخلاف خصومه الذين أوسعوه شتماً، وسار بالإبل.

ولـمَّا كان رَحِمَهُ اللَّهُ قد تكلم في حال كثير من الفلاسفة والمتكلمين ونقد مقالاتهم، ومايز بينهم وأظهر درجة قربهم أو بعدهم من السُّنَّة المحضة، رأيت أن أسلط الضوء على جانب من هذا المنهج العدل والمسلك القدوة لجملة من المقاصد والأسباب منها:

أولاً: أهمية هذا العلم ومسيس الحاجة إليه؛ لحماية حمى التوحيد، وصيانة الملة.

ثانياً: مكانة شيخ الإسلام العلمية والدينية وسعة اطلاعه ووفرة تراثه وعدله ودقته.

ثالثاً: طيش الميزان لدى كثير من أبناء الزمان؛ حيث تعصف بهم العواطف، أو تعطفهم العواصف، فلا يقومون لله بالقسط، ويتبعون الهوى بسبب قرابة أو تحزب أو تعصب، أو يجرمنهم شنآن قوم فلا يعدلوا ولا يتقوا؛ فتضيع الأمانة، ويقع الظلم والجهالة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وسوف أتناول هذه القضية، من خلال الفصول التالية:

الفصل الأول: ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية.

الفصل الثاني: القواعد المنهجية التي سار عليها في تقويم المخالفين.

الفصل الثالث: خاتمة وتوصيات.

كتبه
د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي
قسم العقيدة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم
١٤٢٤/٢/١هـ

الفصل الأول

ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية

ويحسن قبل أن ندلف إلى فنائه ونستشف نضح إنائه أن نُلِمَّ بطرف يسير من سيرته العطرة، ومواقفه المشتهرة:

اسمه، ونسبه:

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي، تقي الدين، أبو العباس، شيخ الإسلام[١].

(١) ينظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (١٢)، تأليف: أبي حفص عمر بن علي بن موسى البزار، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ، الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية (ص٥٢)، تأليف: مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: نجم عبد الرحمٰن خلف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦هـ، القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي (٥)، تأليف: صفي الدين الحنفي البخاري، دار لينة، دمنهور بمصر، التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار (٢٣)، تأليف: أحمد بن إبراهيم الواسطي المعروف بابن شيخ الخزاميين، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، مكتبة ابن الجوزي، الأحساء ١٤٠٨هـ.

أسرته، ونشأته:

(آل تيمية) بيت علم ودين:

فأبوه: شهاب الدين، أبو المحاسن، أبو أحمد، فقيه حنبلي، ولد سنة (٦٢٧هـ)، بِحرَّان، وهاجر إلى دمشق سنة (٦٦٧هـ)، وتولى مشيخة دار الحديث السكرية. كان صاحب دين وخلق وكرم، وكان عالماً بالفرائض والحساب وغيرهما. توفي سنة (٦٨٢هـ)، في دمشق[(١)].

وجده: مجد الدين، أبو البركات فقيه حنبلي من أئمة المذهب، وإمام مقرئ، ومحدث، ومفسر، وأصولي، نحوي. ولد سنة (٥٩٠هـ)، بِحرَّان، وارتحل إلى بغداد سنة (٦٠٣هـ)، وأقام بها ست سنين في طلب العلم، وبرع فيه. وتوفي بِحرَّان، سنة (٦٥٢هـ). وله تصانيف كثيرة، منها: «المنتقى من أحاديث الأحكام» و«المحرر في الفقه»، وغيرها[(٢)].

---

(١) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥/ ٣٧٦)، تأليف: أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العَكري الحنبلي المتوفى ١٠٨٩هـ، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، طبعة: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (٢/ ١٦٦)، تأليف: برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٩١)، تأليف: شمس الدين أبي عبد الله =

إمامته في الدين:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]. لقد اجتمع في شيخ الإسلام ابن تيمية شرطا الإمامة في الدين، وهما: الصبر، واليقين، فكان:

١ ـ **إماماً في العلم**: قال فيه الذهبي ـ وحسبك به ـ: «وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي! فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا هو رأى مثل نفسه في العلم»[(١)].

وحدَّث غير واحد من الشيوخ أن الحافظ المزي قال فيه: «ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه. وما رأيت أحداً أعلم

= محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: الشيخ شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، شذرات الذهب (٥/٢٥٧). وكذلك عم جده الإِمَامُ، العَلَّامَةُ محمد بن أبي القاسم الخَضِرِ فقيه حنبلي، وعالم فاضل، وخطيب واعظ. ولد سنة ٥٤٢هـ، بِحرَّان، وتوفي بها سنة (٦٢١هـ) كما في سير أعلام النبلاء (٢٢/٢٨٨). كما كان أخوه شرف الدين من العلماء وكذلك أعمامه وأقاربه كما في المقصد الأرشد (٢/٤١).

(١) نقلاً عن: الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر (٣٥)، تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، الشهير بابن ناصر الدين المتوفى ٨٤٢هـ، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة: المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

بكتاب الله وسُنَّة رسوله ولا أتبع لهما منه»[١].

وقال ابن الزِّملِكاني: «كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله. وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك. ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم ـ سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها ـ إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه. وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب والتقسيم والتبيين»[٢].

٢ ـ **إماماً في الزهد والسلوك:** ذكر الذهبي في ترجمته لنشأته تقشفه واقتصاده، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي. أو كلاماً قريباً من هذا. وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعد

(١) ينظر: الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية (٤٥)، تأليف: مرعي بن يوسف الكرمي، المتوفى ١٠٣٣هـ، تحقيق وتعليق: نجم عبد الرحمٰن خلف، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

(٢) العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢ ـ ١٣)، تأليف: محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق: علي بن محمد العمران. طبعة: دار عالم الفوائد، ١٤٣٢هـ.

بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلاماً هذا معناه»[١].

مصنفاته:

كان شيخ الإسلام آية في سعة الاطلاع وقوة البديهة واستحضار المعاني ووفرة الحافظة، مع سيولة القلم وسرعة الكتابة، فملأ الدنيا تصنيفاً، فربما كتب جواباً لسؤال المصنفات الطوال ـ وهذا هو الأكثر ـ وربما كتب ابتداءً في مسألة رآها.

قال ابن رجب: «وأما تصانيفه رَحِمَهُ اللَّهُ فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر. سارت مسير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار. قد جاوزت حد الكثرة فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعد المعروف منها ولا ذكرها»[٢].

وقد عدَّ ابن عبد الهادي العشرات من مؤلفاته ما بين مصنف كبير ومتوسط وصغير وقاعدة وإجازة ووصية، وعرَّف بعامتها[٣].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (٤٢)، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية ٧٥١هـ، تحقيق: سيد إبراهيم، طبعة، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥٢٠)، تأليف: زين الدين عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي المتوفى ٧٩٥هـ، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين، طبعة: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٣) انظر: العقود الدرية (٣٨ ـ ١١١).

وفاته:

كانت وفاة شيخ الإسلام ابن تيمية في عام (٧٢٨هـ) حدثاً مجلجلاً، كما كانت حياته بياناً مدوِّياً. وظهر فيها من كرامات الصالحين، ما يليق بمجدد من مجددي الدين[١].

لقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إماماً مجدداً وعلماً شامخاً في تاريخ الإسلام، لا يسع منصفاً ـ موافقاً أو مخالفاً ـ تجاوزه. فلقد أحدث رَحِمَهُ اللَّهُ يقظة عارمة في أوساط معاصريه وأوبةً صادقة إلى منهج السلف الكرام في جميع أبواب الدين، حتى صار الناس يُميَّزون بالميل إليه أو عنه!

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم... لما أبان للناس فساد الرأي، وأرشدهم إلى التمسك بالدليل، وصدع بما أمره الله به، ولم يخف في الله لومة لائم قام عليه طوائف من المنتمين إلى العلم المنتحلين له من أهل المناصب وغيرهم فما زالوا يحاولون ويصاولون ويسعون به إلى الملوك، ويعقدون له مجالس المناظرة ويفتون تارة بسفك دمه، وتارة بتشريده، وتارة باعتقاله فنشر الله من فوائده ما لم ينشر بعضه لأحد من معاصريه، وترجمه أعداؤه فضلاً عن أصدقائه بتراجم لم يتيسر لهم مثلها ولا ما يقارنها لأحد من الذين يتعصبون لهم ويدأبون في نشر

(١) ينظر تفصيل ذلك في: ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥٢٥ ـ ٥٢٧).

فضائلهم ويطرؤون في إطرائهم. وجعل الله له من ارتفاع الصيت وبعد الشهرة ما لم يكن لأحد من أهل عصره، حتى اختلف من جاء بعد عصره في شأنه واشتغلوا بأمره؛ فعاداه قوم، وخالفهم آخرون. والكل معترفون بقدره معظمون له خاضعون لعلومه، واشتهر هذا بينهم غاية الاشتهار، حتى ذكر المترجمون لهم في تراجمهم فيقولون: وكان من المائلين إلى ابن تيمية، أو المائلين عنه!!»[(١)].

وصدق الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ فقد كان شيخ الإسلام محل عناية المؤرخين، والمترجمين، والباحثين، قديماً، وحديثاً، فعقدت له التراجم، وأفردت له المصنفات[(٢)].

---

(١) أدب الطلب ومنتهى الأرب (٤٤، ٤٥)، تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المتوفى ١٢٥٠هـ، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، طبعة دار ابن حزم، لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) وقد جمع الشيخان محمد عزير شمس، وعلي العمران في كتاب الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، طبعة: مجمع الفقه الإسلامي، جدة، الترجمات المتفرقة لشيخ الإسلام: في المصادر المطبوعة وصل عددها أكثر من ستين ترجمة، كما طبعوا معها تراجم مخطوطة تطبع لأول مرة وصل عددها أكثر من عشر ترجمات. وأفرد في ترجمته من كتب المتقدمين ما يقارب خمسة عشر مؤلفاً منها: العقود الدرية في مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي، الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي، الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، للبزار، الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، غاية الأماني في الرد على النبهاني للألوسي، القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي لصفي الدين الحنفي =

الفصل الثاني

القواعد المنهجية التي سار عليها شيخ الإسلام ابن تيمية في تقويم المخالفين

اتبع شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ سبيل السابقين الأولين من سلف هذه الأمة المعتصمين بالكتاب والسُّنَّة، والتزم منهجاً صارماً لم يحد عنه في الحكم على الموافقين والمخالفين. وقد عبَّر عن هذا الالتزام التام بهذا المنهج السلفي بقوله:

«وأئمة السُّنَّة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسُّنَّة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج عنها - ولو ظلمهم - كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ

= البخاري، الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، والشهادة الزكية في ثناء العلماء على ابن تيمية، كلاهما لمرعي بن يوسف الكرمي.
وأما ما كتبه المعاصرون من الكتب والمقالات فيصعب حصره، وقد ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني، حفظه الله، في كتابه: أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨٨ - ٢١١) مسردًا بنحو ستين مؤلفًا معاصرًا، فضلاً عن عشرات البحوث، والندوات المعقودة، حول تراثه.

لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. ويرحمون الخلق؛ فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداء، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان قصدهم بذلك بيان الحق، ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا»[(١)].

وعلى هذا المنهج الرشيد والمسلك الحميد سار وارث علم السلف ومجدد طريقتهم على نور من الله، مستصحباً القواعد التالية:

أولاً: العلم بالحال

اعتمد شيخ الإسلام في تقويمه للرجال والحكم عليهم على العلم بأحوالهم، وبيئتهم، ونشأتهم، وشيوخهم.

ولا ريب أن المرء يتأثر سلباً وإيجاباً بالعوامل الأسرية والبيئية والتدريسية في تكوين ثقافته ومعتقده.

ومن دلائل هذا التأثر والتأثير:

١ ـ قوله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨].

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري (٢/ ٤٩٠)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق: محمد علي عجال، طبعة مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

وقوله تعالى عن ملكة سبأ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٤٣] «أي: عن الإسلام، وإلا فلها من الذكاء والفطنة ما به تعرف الحق من الباطل ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣] فاستمرت على دينهم، وانفراد الواحد عن أهل الدين والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم من أندر ما يكون؛ فلهذا لا يستغرب بقاؤها على الكفر»[(١)] إلا أن الله منَّ عليها بالإسلام، فأسلمت مع سليمان لله ربِّ العالمين.

٢ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[(٢)]. ومعنى الحديث في أصح أقوال العلماء: «أن كل مولود يولد متهيئاً للإسلام فمن كان أبواه أو أحدهما مسلماً استمر على الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا، وإن كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما في أحكام الدنيا، وهذا معنى يهودانه وينصرانه ويمجسانه؛ أي: يحكم له بحكمهما في الدنيا، فإن بلغ استمر عليه حكم الكفر ودينهما، فإن كانت سبقت له سعادة أسلم، وإلا مات على كفره»[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان (٦٠٥)، تأليف: عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله السعدي المتوفى ١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٨) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/٢٠٨)، تأليف: محيي الدين =

نماذج تطبيقية:

ومن أمثلة تطبيق هذا المنهج:

١ ـ ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ في مواضع متعددة عن نشأة التعطيل في هذه الأمة على يد الجعد بن درهم، وبيان أصل استمداد مقالته؛ كقوله: «وهذا الجعد قد ذكروا أنه كان من أهل حران وهو معلم مروان بن محمد؛ ولهذا يقال له: الجعدي، وكان حران إذ ذاك دار الصابئة الفلاسفة الباقين على ملة سلفهم أعداء إبراهيم الخليل»[(١)]. وقوله: «ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة

= أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى ٦٧٦هـ، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٦٤)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
وينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣١٢)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م. منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (٢/ ١٩٢)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م. شرح العقيدة الأصفهانية (١٠٧)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، طبعة المكتبة العصرية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ. الفتوى الحموية الكبرى (٢٣٥، ٢٣٩)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم =

التعطيل للصفات - إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وضُلّال الصابئين؛ فإن أول من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنُسبت مقالة الجهمية إليه، وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ»[(١)].

٢ - ومن الأمثلة، أيضاً ما حكاه عن ابن سينا الفيلسوف: «قال ابن سينا: إنما اشتغلت في علوم الفلاسفة؛ لأن أبي كان من أهل دعوة المصريين - يعني: من بني عبيد الرافضة القرامطة - فإنهم كانوا ينتحلون هذه العلوم الفلسفية»[(٢)].

ويزيده إيضاحاً، فيقول: «ومما يبين هذا أن المتفلسفة الذين يعلم خروجهم من دين الإسلام كانوا من أتباع مبشر بن فاتك أحد أمرائهم وأبي علي بن الهيثم اللذين كانا في دولة

= ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، طبعة: دار الصميعي، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(١) الفتوى الحموية الكبرى (٢٣٢، ٢٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٨٦)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، جمع وترتيب: عبد الرحمٰن بن محمد العاصمي النجدي، الطبعة: الأولى بالرياض، سنة ١٣٨١هـ، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/ ٧٢).

الحكام نازلين قريباً من الجامع الأزهر. وابن سينا وابنه[١] وأخوه كانوا من أتباعهما. قال ابن سينا: وقرأت من الفلسفة وكنت أسمع أبي وأخي يذكران «العقل» «والنفس»، وكان وجوده على عهد الحاكم، وقد علم الناس من سيرة الحاكم ما علموه، وما فعله هشكين الدرزي بأمره من دعوة الناس إلى عبادته ومقاتلته أهل مصر على ذلك، ثم ذهابه إلى الشام حتى أضل وادي التيم بن ثعلبة. والزندقة والنفاق فيهم إلى اليوم، وعندهم كتب الحاكم وقد أخذتها منهم وقرأت ما فيها من عبادتهم الحاكم، وإسقاطه عنهم الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتسمية المسلمين الموجبين لهذه الواجبات المحرمين لما حرَّم الله ورسوله بالحشوية. إلى أمثال ذلك من أنواع النفاق التي لا تكاد تحصى»[٢].

وهذا النص يكشف عن سعة اطلاعه التاريخي، بل وتتبعه لأصول المقالات حتى إنه يأخذ نسخها الأصلية من أيدي أتباعها رغم تقادم الزمن.

ويلحظ رَحِمَهُ اللَّهُ أثر البيئة العلمية، في تكوين شخصية المخالف، حين يقول، على سبيل المقارنة: «ولكن ابن سينا نشأ بين المتكلمين النفاة للصفات، وابن رشد نشأ بين

(١) لعلها: وأبوه، كما يدل عليه ما تقدم، وما يأتي.
(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٣٥)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ٤٩٦، ٤٩٧).

الكلابية، وأبو البركات نشأ ببغداد بين علماء السُّنَّة والحديث، فكان كل من هؤلاء بعده عن الحق بحسب بعده عن معرفة آثار الرسل، وقربه من الحق بحسب قربه من ذلك»[١].

وبالجملة؛ فإن العلم بحال المخالف ـ أو ما يسمى في لغة العصر «السيرة الذاتية» ـ مهم في الحكم عليه وتبين مقاصده ومراميه.

ثانياً: العلم بالمقال

أوتي شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ علماً واسعاً، وعقلاً راجحاً، وقدرةً على التصور، والتكييف لأعوص المسائل التي يخوض بها الفلاسفة والمناطقة والمتكلمون.

وقد استطاع أن يستوعب غموض الفلسفة ومقاصد علم الكلام وآلة المنطق ويهضمها، ويتصورها إزاء الوحي الإلٰهي، فانكشف له عوارها، وتمكن من تزييف كثير من دعاويها ومقدماتها ونقض نتائجها بنور من الله أكسبه قوة عارضة، وفصاحة لسان، وثبات جنان، حتى قال في مجلس مناظرة بثقة واعتداد:

«أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام وأول من ابتدعها وما كان سبب ابتداعها»[٢].

ويُخبر عن كثرة المخالفين لمذهب أهل السُّنَّة في طرق

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية (١/ ٢٥٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٨٤).

إثبات الصانع، وعن سعة اطلاعه رَحِمَهُ اللَّهُ على أقوالهم، وردِّه عليهم فيقول:

«وقد بسطنا الكلام على ما قاله الناس في هذا المقام من الحدوث، والإمكان، وعلة الافتقار إلى المؤثر، وذكرنا عامة طرائق أهل الأرض في إثبات الصانع من المتكلمين والفلاسفة، وطرق الأنبياء صلوات الله عليهم، وما سلكه عامة نظار الإسلام من معتزلي، وكرامى، وكلابي، وأشعري، وفيلسوف، وغيرهم في غير موضع»[(١)].

ووصف الانبهار الذي حصل لفرقة (الاتحادية)، حين كشف لهم حقيقة مذهبهم، وبيَّن زيفه فقال: «ولهذا لما بيَّنت لطوائف من أتباعهم ورؤسائهم حقيقة قولهم وسر مذهبهم صاروا يعظمون ذلك، ولولا ما أقرنه بذلك من الذم والرد لجعلوني من أئمتهم وبذلوا لي من طاعة نفوسهم وأموالهم ما يحل عن الوصف، كما تبذله النصارى لرؤسائهم، والإسماعيلية لكبرائهم، وكما بذل آل فرعون لفرعون»[(٢)].

---

(١) الرد على المنطقيين (٢٥٣)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، طبعة: دار المعرفة، بيروت، وينظر: النبوات (١/ ٧٠)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، طبعة: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ١٣٨).

ولعمر الله لا يتأتى ذلك لكل صاحب سُنَّة! فإما أن يعرض عنها ابتداءً؛ طلباً للعافية، واستغناءً بعلوم الكتاب والسُّنَّة ـ كما هو مسلك كثير من السلف ـ أو يقصر عن درك معانيها، وفك طلاسمها.

غير أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ رأى أن سرطان الكلام قد انتشر في الأمة، وأن استمداده من الفلسفة والمنطق اليونانييَّن فعمد بهمَّة ونشاط إلى درس هذه العلوم بعقل مستنير، فأتى بنيانها من القواعد؛ صيانةً لعقيدة الأمة، وذبّاً عن أصول الملة. وقال كلمته الشهيرة في الرد على المنطقيين:

«فإني كنت دائماً أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به البليد، ولكن كنت أحسب أن قضاياه صادقة لما رأيت من صدق كثير منها. ثم تبين لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياه وكتبت في ذلك شيئاً، ثم لما كنت بالإسكندرية اجتمع بي من رأيته يعظم المتفلسفة بالتهويل والتقليد؛ فذكرت له بعض ما يستحقه من التجهيل والتضليل»[1].

والناظر في تراث شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ يجد مناقشةً علمية مبنية على حسن تصور لما ألقاه الفلاسفة والمتكلمون من شبهات مزخرفة مدوية. فلا يكتفي بالذم المجمل بل يتناولها بالنقض المفصل.

---

(١) الرد على المنطقيين (٣).

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونحن ـ ولله الحمد ـ قد تبين لنا بياناً لا يحتمل النقيض فساد الحجج المعروفة للفلاسفة والجهمية والقدرية ونحوهم التي يعارضون بها كتاب الله، وعلمنا بالعقل الصريح فساد أعظم ما يعتمدون عليه من ذلك، وهذا ـ ولله الحمد ـ مما زادنا الله به هدى وإيماناً؛ فإن فساد المعارض مما يؤيد معرفة الحق ويقويه، وكل من كان أعرف بفساد الباطل كان أعرف بصحة الحق، ويروى عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»[(١)].

وهذا حال كثير ممن نشأ في عافية الإسلام وما عرف ما يعارضه؛ ليتبين له فساده، فإنه لا يكون في قلبه من تعظيم الإسلام مثل ما في قلب من عرف الضدين. ومن الكلام السائر: «الضد يظهر حسنه الضد»، «وبضدها تتبين الأشياء»[(٢)].

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ بعد طول بحث، وقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٤١٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٦/ ١٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٢٨) عن الْمُسْتَظِلِّ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ مَتَى تَهْلِكُ الْعَرَبُ»، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: مَتَى يَهْلِكُونَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «حِينَ يَسُوسُ أَمْرَهُمْ مَنْ لَمْ يُعَالِجْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَمْ يَصْحَبِ الرَّسُولَ ﷺ»، وصححه الحاكم كما في المستدرك (٤/ ٤٧٥) ووافقه الذهبي.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٥٨، ٢٥٩).

ويقول أيضاً:

«فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى. ثم إن كان قد خبر نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب، وعرّف غالب ما يزعمونه برهاناً وهو شبهة رأى أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها، أو شبهة مركبة من قياس فاسد، أو قضية كلية لا تصلح إلا جزئية، أو دعوى إجماع لا حقيقة له، أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة. ثم إن ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم أوهمت الغِرَّ ما يوهمه السراب للعطشان، ازداد إيماناً وعلماً بما جاء به الكتاب والسُّنَّة؛ فإن الضِدَّ يُظهِر حُسْنَه الضدُّ، وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيماً وبقدره أعرف»[1].

نماذج تطبيقية:

١ ـ تأمل كيف يقوم بتشريح البنية الفكرية لابن سينا، ويتتبع مسارب مقالته ومنابعها، فيقول: «وابن سينا أحدث فلسفة ركَّبها من كلام سلفه اليونان ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ونحوهم. وسلك طريق الملاحدة الإسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية، ومزجه بشيء

(١) الفتوى الحموية الكبرى (٥٥٢، ٥٥٤).

من كلام الصوفية، وحقيقته تعود إلى كلام إخوانه الإسماعيلية القرامطة الباطنية؛ فإن أهل بيته كانوا من الإسماعيلية أتباع الحاكم الذي كان بمصر وكانوا في زمنه، ودينهم دين أصحاب «رسائل إخوان الصفا» وأمثالهم من أئمة منافقي الأمم الذين ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى»[1].

٢ ـ وتأمل كيف يميط اللثام، وينزح الركام عن مقالات زنادقة الصوفية، ويكشف عن المسارب الخفية التي تمدها، ويوزع الأنصباء على غُلاتها حيث يقول: «مذهب هؤلاء الاتحادية؛ كابن عربي، وابن سبعين، والقونوي، والتلمساني مركب من ثلاثة مواد: سلب الجهمية وتعطيلهم، ومجملات الصوفية ـ وهو ما يوجد في كلام بعضهم من الكلمات المجملة المتشابهة ـ كما ضلَّت النصارى بمثل ذلك فيما يروونه عن المسيح، فيتبعون المتشابه، ويتركون المحكم، وأيضاً كلمات المغلوبين على عقلهم الذين تكلموا في حال سكر، ومن الزندقة الفلسفية التي هي أصل التجهم، وكلامهم في الوجود المطلق والعقول والنفوس والوحي والنبوة والوجوب والإمكان وما في ذلك من حق وباطل. فهذه المادة أغلب على ابن سبعين والقونوي، والثانية أغلب على ابن عربي؛ ولهذا هو أقربهم إلى الإسلام: والكل مشتركون في التجهم، والتلمساني أعظمهم تحقيقاً لهذه الزندقة والاتحاد التي انفردوا بها،

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٧١).

وأكفرهم بالله، وكتبه، ورسله، وشرائعه، واليوم الآخر»[١].

ثالثاً: العدل والإنصاف

(العدل) خُلُق أصيل في الدين، وقيمة رفيعة في معاشرة الخلق. وقد أمر الله به في كتابه، ونهى عن أضداده، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، وقال في خصوص القول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال في خصوص الحكم: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. وشواهد هذا كثيرة.

وقد أدرك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ هذا المعنى الجليل فعظَّمه وفخَّمه، ومن جميل قوله في ذلك: «وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل ـ الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم ـ أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق ـ وإن لم يشترك في إثم ـ؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة ـ وإن كانت كافرة ـ ولا يقيم الظالمة ـ وإن كانت مسلمة ـ. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال النبي ﷺ: **«ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي، وقطيعة الرحم»**[٢]؛ فالباغي يُصرع في الدنيا ـ وإن كان مغفوراً له،

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ١٧٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩)، وأبو داود =

مرحوماً في الآخرة ـ وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت ـ وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ـ ومتى لم تقم بالعدل لم تقم ـ وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزي به في الآخرة ـ»[(١)].

وقال أيضاً: «والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه ومحبته والثناء على أهله ومحبتهم. والظلم مما اتفقوا على بغضه وذمه وتقبيحه، وذم أهله وبغضهم، . . . ولكن المقصود أن العدل محمود محبوب باتفاق أهل الأرض، وهو محبوب في النفوس، مركوز حبه في القلوب، تحبه القلوب وتحمده، وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب، والظلم من المنكر الذي تنكره القلوب فتبغضه وتذمه. والله تعالى أرسل الرسل؛ ليقوم الناس بالقسط. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧][(٢)].

فما ظنك بمن هذا قوله كيف يصنع مع مخالفيه؟ لا إخاله

= (٤٩٠٢)، وابن ماجه (٤٢١١)، والترمذي (٢٥١١) من حديث أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي، وقطيعة الرحم**». وصححه الترمذي والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٦) و(٤/ ١٦٣) ووافقه الذهبي، كما صححه الأرناؤوط في تحقيق مسند أحمد (٣٤/ ٩)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٢).

(١) الاستقامة (٢/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨).

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ١٢٧).

إلا كما قال نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]. بل قد عبَّر فعلاً، عن هذا المعنى فقال:

«فلهذا كان أهل العلم والسُّنَّة لا يكفِّرون من خالفهم - وإن كان ذلك المخالف يكفرهم -؛ لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأن الكذب والزنا حرام، لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله»[(١)].

وقال أيضاً: «هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني؛ فإنه وإن تعدى حدود الله فيَّ بتكفير، أو تفسيق، أو افتراء، أو عصبية جاهلية فأنا لا أتعدى حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس حاكماً فيما اختلفوا فيه»[(٢)]. فللَّه دره!

نماذج تطبيقية:

من مظاهر استعمال العدل لدى شيخ الإسلام في معاملة مخالفيه:

١ - قوله عن النظَّام المعتزلي، وابن سينا الفيلسوف

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري (٢/ ٤٩٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٤٥).

الباطني: «...وهذا الذي قاله النظام هو الذي قصده ابن سينا أيضاً، وهو الصواب الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة وجماهير العقلاء؛ ولهذا قال ابن سينا بعد ذلك كلاماً صحيحاً قال: ولا يجوز أن يكون الحادث ثابت الوجود بعد حدوثه بذاته حتى يكون إذا حدث، فهو واجب أن يوجد ويثبت لا بعلة في الوجود والثبات»[(١)].

٢ ـ ومن أمثلة عدله، ما ذكره عن ابن عربي ـ مع قطعه في كثير من كتبه بأن مقالاته كفر وزندقة وإلحاد ـ: «مقالة ابن عربي صاحب فصوص الحكم ـ وهي مع كونها كفراً ـ فهو أقربهم إلى الإسلام؛ لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيراً؛ ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره بل هو كثير الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل أخرى. والله أعلم بما مات عليه»[(٢)].

٣ ـ ومن عدله وإنصافه في تقويم الرجال ما قرره بشأن ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ حيث يقول عنه: «قد خالط من أقوال الفلاسفة والمعتزلة في مسائل الصفات ما صرفه عن موافقة أهل الحديث في معاني مذهبهم في ذلك فوافق هؤلاء في اللفظ وهؤلاء في

(١) الصفدية (٢/ ١٨٣)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة: مكتبة ابن تيمية، مصر. الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ١٤٣).

المعنى. وبمثل هذا صار يذمه من يذمه من الفقهاء والمتكلمين وعلماء الحديث؛ باتباعه لظاهر لا باطن له، كما نفى المعاني في الأمر والنهي والاشتقاق، وكما نفى خرق العادات ونحوه من عبادات القلوب، مضموماً إلى ما في كلامه من الوقيعة في الأكابر، والإسراف في نفي المعاني، ودعوى متابعة الظواهر. وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلا مكابر، ويوجد في كتبه من كثرة الاطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال والتعظيم لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره، فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح، وله من التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء»[(١)].

وقال عنه في موضع آخر: «وأما نساء النبي ﷺ فلم يقل: إنهن أفضل من العشرة إلا أبو محمد ابن حزم[(٢)] وهو قول شاذ لم يسبقه إليه أحد، وأنكره عليه من بلغه من أعيان العلماء، ونصوص الكتاب والسُّنَّة تبطل هذا القول... وبالجملة فهذا قول شاذ لم يسبق إليه أحد من السلف، وأبو محمد ـ مع كثرة

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٩، ٢٠).

(٢) ينظر قول ابن حزم في تفضيل نساء النبي ﷺ على العشرة في: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٩٥)، تأليف: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، المتوفى ٤٥٦هـ، طبعة: مكتبة الخانجي ـ القاهرة.

علمه وتبحره وما يأتي به من الفوائد العظيمة ـ له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه، كما يعجب مما يأتي به من الأقوال الحسنة الفائقة وهذا كقوله: إن مريم نبية، وإن آسية نبية، وإن أم موسى نبية[١]. وقد ذكر القاضي أبو بكر، والقاضي أبو يعلى، وأبو المعالي، وغيرهم: الإجماع على أنه ليس في النساء نبية والقرآن والسُّنَّة دلَّا على ذلك»[٢].

٤ ـ ومن صور العدل المشرقة في أفق شيخ الإسلام الواسع الدَّالة على عظمة المنهج السائر عليه، قوله عن بعض أهل البدع: «والرافضة فيهم من هو متعبد متورع زاهد، لكن ليسوا في ذلك مثل غيرهم من أهل الأهواء؛ فالمعتزلة أعقل منهم وأعلم وأدين، والكذب والفجور فيهم أقل منه في الرافضة، والزيدية من الشيعة خير منهم وأقرب إلى الصدق والعدل والعلم، وليس في أهل الأهواء أصدق ولا أعبد من الخوارج. ومع هذا فأهل السُّنَّة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم؛ فإن الظلم حرام مطلقاً... بل أهل السُّنَّة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا مما يعترفون هم به، ويقولون: أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا

(١) ينظر قول ابن حزم بنبوة النساء في: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٥، ٣٩٦).

بعضاً»[١].

٥ ـ وكذلك أنصف المتصوفة فقال: «تنازع الناس في طريقهم؛ فطائفة ذمَّت الصوفية والتصوف، وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السُّنَّة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام. وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم. والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كلٍّ من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم»[٢].

٦ ـ بل بلغ به الإنصاف أن ينصف أهل الكتاب فقال: «والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق، وألا نقول عليه إلا

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ١٥٧، ١٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ١٧، ١٨)، وينظر: الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان (١٠٣)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، طبعة: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

بعلم، وأمرنا بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني ـ فضلاً عن الرافضي ـ قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق»[(١)].

ويقول على سبيل الإجمال: «كما أن جنس المسلمين، خير من جنس أهل الكتابين، وإن كان قد يوجد في أهل الكتاب من له عقل، وصدق، وأمانة، لا توجد في كثير من المنتسبين إلى الإسلام»[(٢)].

هذا مع قوله في موضع آخر: «فما يوجد في المسلمين شر إلا وفي أهل الكتاب أكثر منه، ولا يوجد في أهل الكتاب خير إلا وفي المسلمين أعظم منه؛ ولهذا يذكر ﷻ مناظرة الكفار من المشركين وأهل الكتاب بالعدل، فإذا ذكروا عيباً في المسلمين لم يبرئهم منه لكن يبين أن عيوب الكفار أعظم؛ كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾، ثم قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧][(٣)].

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية (٢/ ٣٤٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٢١١).

(٣) دقائق التفسير (٢/ ١٥٣)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، طبعة: مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.

والواقع أن هذا النفَس المنصف، من أقوى الأسباب لاجتذاب الحائدين عن سبيل الرشاد بسبب عصبية، أو استفزاز من بعض المتسننة.

رابعاً: التمييز والتفصيل

إن من أخص صفات العلماء الراسخين: القدرة على التمييز بين المشتبهات، والتسوية بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات. كما أن من سمات أهل الزيغ والأهواء: الخلط، وعدم التمييز، واتباع المتشابهات. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٧، ٨].

وما أجمل ما قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في النونية[(١)]:

فعليك بالتفصيل والتمييز فالإ ... طلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الـ ... أذهان والآراء كل زمان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١/١٣٧)، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية، المتوفى ٧٥١هـ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمٰن العريفي، ناصر بن يحيى الحنيني، عبد الله بن عبد الرحمٰن الهذيل، فهد بن علي المساعد، طبعة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ـ مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ.

ولشيخ الإسلام القِدح المعلى في هذا الباب؛ فلقد آتاه الله ميزاناً دقيقاً، ومعياراً مستقيماً مايز به بين المقالات، وقدر فيها المسافات قرباً وبعداً من الصراط المستقيم، فصفَّ الرجال في مصافِّهم، ورتب المقالات في منازلها، وأعطى كل ذي حقٍّ حقَّه لا وكس ولا شطط.

نماذج تطبيقية:

مايز شيخ الإسلام بين الإسلاميين، ووزنهم بميزان العلم والعدل وأنزلهم منازلهم التي تليق بهم. ومن أمثلة ذلك قوله:

١ ـ «وكذلك أبو محمد ابن حزم فيما صنَّفه من الملل والنحل إنما يستحمد فيه بموافقة أهل السُّنَّة والحديث؛ لكونه يثبت في الأحاديث الصحيحة، ويعظم السلف وأئمة الحديث، ويقول إنه موافق للإمام أحمد في مسألة القرآن وغيرها، ولا ريب أنه موافق له ولهم في بعض ذلك، لكن الأشعري ونحوه أعظم موافقة للإمام أحمد بن حنبل ومن قبله من الأئمة في القرآن والصفات، وإن كان أبو محمد ابن حزم في مسائل الإيمان والقدر أقوم من غيره، وأعلم بالحديث وأكثر تعظيماً له ولأهله من غيره، لكن قد خالط من أقوال الفلاسفة والمعتزلة في مسائل الصفات ما صرفه عن موافقة أهل الحديث في معاني مذهبهم في ذلك فوافق هؤلاء في اللفظ وهؤلاء في المعنى»[1].

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٨، ١٩).

٢ ـ وقال عن بعض المتكلمين، المتقاربين: «وابْنُ كُلَّابٍ إمام الأشعرية أكثر مخالفة لجهم وأقرب إلى السلف من الأشعري نفسه، والأشعري أقرب إلى السلف من القاضي أبي بكر الباقلاني، والقاضي أبو بكر وأمثاله أقرب إلى السلف من أبي المعالي وأتباعه»[(١)].

٣ ـ وكما فاضل بين المتكلمين فاضل بين الصوفية فهو يقارن بين ابن عربي وابن سبعين ويقول: «ابن عربي كان أعلم بالحديث والتصوف من هذا، وإن كان كلاهما من أبعد الناس عن معرفة الحديث والتصوف المشروع، بل هما أقل الناس معرفة بالكتاب والسُّنَّة وآثار سلف الأمة، وابن سبعين أعلم بالفلسفة من ابن عربي، وأما الكلام فكلاهما يأخذه من مشكاة واحدة؛ من مشكاة صاحب الإرشاد وأتباعه كالرازي»[(٢)].

٤ ـ وكما مايز بين الذوات مايز بين المقالات، وفاوت بين درجات البدعة. ومن بديع ذلك قوله: «وكان جهم ينفي الصفات ويقول بالجبر، فهذا تحقيق قول جهم، لكنه إذا أثبت الأمر والنهي والثواب والعقاب فارق المشركين من هذا الوجه،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣).

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (١/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق: موسى الدويش، طبعة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

لكن جهماً ومن اتبعه يقول بالإرجاء؛ فيضعف الأمر، والنهي، والثواب، والعقاب عنده. والنجارية، والضرارية، وغيرهم، يقربون من جهم في مسائل القدر والإيمان مع مقاربتهم له أيضاً في نفي الصفات. والكلابية، والأشعرية، خير من هؤلاء في باب الصفات؛ فإنهم يثبتون لله الصفات العقلية، وأئمتهم يثبتون الصفات الخبرية ـ في الجملة ـ... وأما في باب القدر ومسائل الأسماء والأحكام فأقوالهم متقاربة. والكلابية هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب الذي سلك الأشعري خطته. وأصحاب ابن كلاب كالحارث المحاسبي، وأبي العباس القلانسي ونحوهما خير من الأشعرية في هذا وهذا. فكلما كان الرجل إلى السلف والأئمة أقرب كان قوله أعلى وأفضل. والكرامية قولهم في الإيمان قول منكر لم يسبقهم إليه أحد؛ حيث جعلوا الإيمان قول اللسان وإن كان مع عدم تصديق القلب! فيجعلون المنافق مؤمناً لكنه يخلد في النار. فخالفوا الجماعة في الاسم، دون الحكم. وأما في الصفات والقدر والوعيد فهم أشبه من أكثر طوائف الكلام التي في أقوالها مخالفة للسُّنَّة. وأما المعتزلة فهم ينفون الصفات ويقاربون قول جهم لكنهم ينفون القدر، فهم ـ وإن عظموا الأمر والنهي والوعد والوعيد وغلوا فيه ـ فهم يكذبون بالقدر. ففيهم نوع من الشرك من هذا الباب. والإقرار بالأمر والنهي والوعد والوعيد مع إنكار القدر خير من الإقرار بالقدر مع إنكار الأمر

والنهي والوعد والوعيد؛ ولهذا لم يكن في زمن الصحابة، والتابعين، من ينفي الأمر والنهي والوعد والوعيد. وكان قد نبغ فيهم القدرية، كما نبغ فيهم الخوارج الحرورية. وإنما يظهر من البدع أولاً ما كان أخفى، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة، قويت البدعة»[1].

فقد حكى، أعلاه، مقالات أكثر من سبع فرق، وميَّز بينها قرباً وبعداً من السُّنَّة. وذكر ضابطين بديعين:

أحدهما: «كلما كان الرجل إلى السلف والأئمة أقرب كان قوله أعلى وأفضل».

الثاني: «يظهر من البدع أولاً ما كان أخفى، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة».

٥ ـ وتأمل كيف يميز بين ألوان الطيف البدعي، ويضع أصحاب المقالات في دركاتهم في سلم البدعة فيقول: «وكان هؤلاء الجبرية المرجئة أكفر بالأمر والنهي والوعد والوعيد من المعتزلة الوعيدية القدرية. وأما مقتصدة المرجئة الجبرية الذين يقرون بالأمر والنهي والوعد والوعيد وأن من أهل القبلة من

(١) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع (١٨٨ ـ ١٩٤)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، طبعة: مكتبة العبيكان ـ الرياض، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

يدخل النار فهؤلاء أقرب الناس إلى أهل السُّنَّة... لكن المعتزلة من القدرية أصلح من الجبرية والمرجئة ونحوهم في الشريعة علمها وعملها؛ فكلامهم في أصول الفقه، وفي اتباع الأمر والنهي خير من كلام المرجئة من الأشعرية وغيرهم؛ فإن كلام هؤلاء في أصول الفقه قاصر جداً، وكذلك هم مقصِّرون في تعظيم الطاعات والمعاصي، ولكن هم في أصول الدين أصلح من أولئك»[1].

ويقول: «والجهمية الجبرية يقولون: ليس للأمر حكمة تنشأ لا من نفس الأمر ولا من نفس المأمور به، ولا يخلق الله شيئاً لحكمة ولكن نفس المشيئة أوجبت وقوع ما وقع، وتخصيص أحد المتماثلين بلا مخصص، وليست الحسنات سبباً للثواب، ولا السيئات سبباً للعقاب، ولا لواحد منهما صفة صار بها حسنة وسيئة، بل لا معنى للحسنة إلا مجرد تعلق الأمر بها، ولا معنى للسيئة إلا مجرد تعلق النهي بها، فيجوز أن يأمر بكل أمر حتى الكفر والفسوق والعصيان، ويجوز أن ينهى عن كل أمر حتى عن التوحيد والصدق والعدل، وهو لو فعل لكان كما لو أمر بالتوحيد والصدق والعدل، ونهى عن الشرك والكذب والظلم. هكذا يقول بعضهم، وبعضهم يقول: يجوز الأمر بكل ما لا ينافي معرفة الأمر بخلاف ما ينافي معرفته. وليس في الوجود عندهم سبب ولكن إذا اقترن أحد الشيئين بالآخر خلقاً

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٤٢).

أو شرعاً صار علامة عليه، فالأعمال مجرد علامات محضة لا أسباب مقتضية. . . وهؤلاء منهم من ينفي القياس في الشرع، والتعليل للأحكام، ومن أثبت القياس منهم لم يجعل العلل إلا مجرد علامات. ثم إنه مع هذا قد علم أن الحكم في الأصل ثابت بالنص والإجماع وذلك دليل عليه فأي حاجة إلى العلة؟ وكيف يتصور أن تكون العلة علامة على الحكم في الأصل وإنما تطلب علّته بعد أن يعلم ثبوت الجحيم وحينئذ فلا فائدة في العلامة؟ وأما الفرع فلا يكون علة له حتى يكون علة للأصل، وهؤلاء منهم من ينكر العلل المناسبة ويقول: المناسبة ليست طريقاً لمعرفة العلل وهم أكثر أصحاب هذا القول. ومن قال بالمناسبة من متأخريهم يقول إنه قد اعتبر في الشرع اعتبار المناسب، فيستدل بمجرد الاقتران لا لأن الشارع حكم بما حكم به؛ لتحصيل المصلحة المطلوبة بالحكم، ولا لدفع مفسدة أصلاً؛ فإن عندهم أنه ليس في خلقه ولا أمره لام كي. فجهم - رأس الجبرية - وأتباعه في طرف، والقدرية في الطرف الآخر. وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وأئمة الإسلام كالفقهاء المشهورين وغيرهم، ومن سلك سبيلهم من أهل الفقه والحديث والمتكلمين في أصول الدين وأصول الفقه فيقرون بالقدر، ويقرون بالشرع، ويقرون بالحكمة لله في خلقه وأمره، لكن قد يعرف أحدهم الحكمة وقد لا يعرفها»[1].

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٩٩، ٢٠٠).

خامساً: القوة في الحق

القوة في بيان الحق شجاعة أدبية لا تقل عن الشجاعة في ميادين القتال. ولا بد لكل مجدد مصلح من التحلي برباطة الجأش وثبات الجنان ووضوح العبارة، والبعد عن أساليب المواربة والادِّهان والعبارات الفضفاضة التي لا تحق حقّاً ولا تبطل باطلاً، والبعد عن محاولة إرضاء جميع الأطراف.

ولعل من أجمل الأمثلة ما جرى من مؤمن القرية الذي ذكر الله مقالته في سورة (يس): ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٠ ـ ٢٧]. فقد جمع بين الشجاعة ووضوح العبارة والنصح التام.

وقد عاش شيخ الإسلام في خضم من أمواج البدع المتلاطمة، ورياسات دينية وسياسية مخالفة، فلم يثنه ذلك عن بيان الحق والصدع به تقريراً، وتصنيفاً، وسلوكاً. ولقي في ذات الله ما لقيه أتباع المرسلين فصبر واحتسب.

نماذج تطبيقية:

١ ـ من أشهر الوقائع الفاصلة في تاريخ شيخ الإسلام:

تصنيفه للفتوى الحموية التي صدع فيها بحقيقة مذهب السلف في الصفات على رأس المائة الثامنة، وخطَّأ فيها المدرسة الأشعرية المتسيدة على القضاء والتدريس والفتيا في زمان الدولة الأيوبية وما تلاها.

٢ ـ ومن قوته في الحق إدانته لرموز الصوفية الكبار في وقت راج فيه سوق التصوف، وتجذرت عروقه في الأمة، فلم يمنعه ذلك أن يقوم لله بالقسط ويصدع بكلمة الحق رغم كثرة الأتباع وتنفذهم، فيقول مثلاً:

«ابن عربي وأمثاله ـ وإن ادعوا أنهم من الصوفية ـ فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل العلم، فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسُّنَّة؛ كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وأمثالهم رضوان الله عليهم أجمعين»[1].

وينتقد تائية ابن الفارض التي يقول فيها:

ولي من أتم النظرتين إشارة تنزه عن رأي الحلول عقيدتي

يقول شيخ الإسلام:

«من تأمل بقية هذه القصيدة وتأمل هذه الأبيات وما بعدها وجدها صريحة في مذهب الاتحادية المنافقين الفرعونية

(١) الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان (١٠٣).

القرامطة، وعلم أن نَفَسَهُ وَنَفَسَ التلمساني هو نَفَسُ ابن عربي، وأن هؤلاء كلهم قولهم كفر صريح معلوم فساده بالاضطرار العقلي والشرعي، والاضطرار الذوقي أيضاً؛ ولكن كثرة ما يصفون جنس الحب يبقى في كلامهم إجمال»[(١)].

٣ ـ وعلى الصعيد العملي أبدى رَحِمَهُ اللَّهُ شجاعة منقطعة النظير في مواجهة دجاجلة البطائحية من الرفاعية الذين كانوا يموهون باطلهم على العامة بالمخاريق، والاستعانة بالشياطين، ويتظاهرون بالدخول في النار، فتحداهم رَحِمَهُ اللَّهُ في واقعة مشهورة قال فيها: «فاستخرت الله تعالى تلك الليلة واستعنته واستنصرته واستهديته، وسلكت سبيل عباد الله في مثل هذه المسالك حتى ألقي في قلبي أن أدخل النار عند الحاجة إلى ذلك وأنها تكون برداً وسلاماً على من اتبع ملة الخليل وأنها تحرق أشباه الصابئة أهل الخروج عن هذه السبيل»[(٢)]. ثم يصف رَحِمَهُ اللَّهُ المواجهة الحاسمة: «فقلت ـ ورفعت صوتي وغضبت ـ أنا أخاطب كل أحمدي من مشرق الأرض إلى مغربها: أي شيء فعلوه في النار فأنا أصنع مثل ما تصنعون ومن احترق فهو مغلوب ـ وربما قلت فعليه لعنة الله ـ ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٣٩)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، المتوفى ١٤٢١هـ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٥٥).

الحار. فسألني الأمراء والناس عن ذلك؟ فقلت: لأن لهم حيلاً في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء: من دهن الضفادع، وقشر النارنج، وحجر الطلق. فضج الناس بذلك فأخذ يظهر القدرة على ذلك فقال: أنا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلى جسومنا بالكبريت. فقلت: فقم. وأخذت أكرر عليه في القيام إلى ذلك، فمد يده يظهر خلع القميص، فقلت: لا حتى تغتسل في الماء الحار والخل فأظهر الوهم على عادتهم، فقال: من كان يحب الأمير فليحضر خشباً، أو قال: حزمة حطب. فقلت: هذا تطويل وتفريق للجمع، ولا يحصل به مقصود، بل قنديل يوقد وأدخل إصبعي وإصبعك فيه بعد الغسل، ومن احترقت إصبعه فعليه لعنة الله ـ أو قلت: فهو مغلوب ـ فلما قلت ذلك تغير وذل، وذكر لي أن وجهه اصفر. ثم قلت لهم: ومع هذا فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة، ولو طرتم في الهواء، ومشيتم على الماء، ولو فعلتم ما فعلتم لم يكن في ذلك ما يدل على صحة ما تدعونه من مخالفة الشرع، ولا على إبطال الشرع؛ فإن الدجال الأكبر يقول للسماء أمطري فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت، وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه، ويقتل رجلاً ثم يمشي بين شقيه ثم يقول له قم فيقوم، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون لعنه الله، ورفعت صوتي بذلك فكان لذلك وقع عظيم في القلوب»[1].

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٦٥، ٤٦٦).

سادساً: الرحمة بالخلق

إن الطبيعة الشخصية والمزاج الإنساني لهما أثر كبير في اتخاذ الأحكام وصياغة العبارات النقدية. وإذا كان القلب كبيراً والروح متسامية عن الخصومات والتشفي والانتقام جاء الحكم متجرداً عن الأهواء والأغراض الشخصية. وقد حبا الله شيخ الإسلام ابن تيمية نفْساً أريحية ونَفَساً طيباً مطمئناً على عموم مخالفيه من المسلمين، رغم ما طاله من كثير منهم من وشاية وأذى، وكأنه يتذوق حلاوة دعاء التابعين بإحسان حين قالوا فيما ذكره تعالى في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

ومن بديع ما قال معقباً على ما جرى له من أذى: «وقد أظهر الله من نور الحق وبرهانه ما ردَّ به إفك الكاذب وبهتانه. فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي، أو ظلمه وعدوانه؛ فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حلٍّ من جهتي. وأما ما يتعلق بحقوق الله فإن تابوا تاب الله عليهم، وإلا فحكم الله نافذ فيهم»[1].

إن من الخصال التي تحتاج إلى مجاهدة عظيمة للوصول لها أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك. وتعتذر إلى من

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٥).

يجني عليك، سماحة لا كظماً، ومودة لا مصابرة.

وقد تجلَّت هذه الخصال كلها في شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول ابن القيم: «. . . وما رأيت أحداً قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه!!! وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم»[(١)].

وهو خلق تحول إلى منهج، وإن شئت فقل: منهج تحول إلى خلق، فإن هوى المؤمن نضح إيمانه، وكل إناء بما فيه ينضح. وتأمل كيف أحال رَحِمَهُ اللَّهُ خلق الرحمة إلى منهج في النقد والتقويم حيث يقول: «وهكذا الرد على أهل البدع من الرافضة وغيرهم، إن لم يقصد فيه بيان الحق وهدى الخلق ورحمتهم والإحسان إليهم لم يكن عمله صالحاً، وإذا غلَّظ في ذم بدعة ومعصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد؛ ليحذرها العباد، كما في نصوص الوعيد وغيرها. وقد يهجر الرجل؛ عقوبة وتعزيزاً والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله؛ للرحمة والإحسان، لا للتشفي والانتقام»[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٢٨، ٣٢٩)، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية، المتوفى ٧٥١هـ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، طبعة: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ١٦١).

نماذج تطبيقية:

١ ـ حكى ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ في سيرة شيخ الإسلام: «وسمعت الشيخ تقي الدين ابن تيمية يذكر: أن السلطان لما جلس بالشباك أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله، واستفتاه في قتل بعضهم، قال: ففهمت مقصوده، وأن عنده حنقاً شديداً عليهم؛ لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر، ركن الدين بيبرس الجاشنكير. فشرعت في مدحهم، والثناء عليهم، وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك. أما أنا فهم في حلٍّ من حقي ومن جهتي. وسكَّنت ما عنده عليهم. قال: فكان القاضي، زين الدين، ابن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك: ما رأينا أتقى من ابن تيمية! لم نبق ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا»[(١)].

٢ ـ ويحكي ابن القيم عن شيخه فيقول: «وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له. فنهرني، وتنكر لي، واسترجع. ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام. فسروا به

---

(١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (١/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩)، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي، المتوفى ٧٤٤هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة: دار الكاتب العربي.

ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه»[١].

سابعاً: الاعتذار

في الحديث المتفق عليه: «لَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ»[٢].

إن التماس المعاذير وإحسان الظن بالمسلمين منهج رباني نبوي سلفي كريم يدل على نبل في النفس، ونقاء الضمير، وترفع عن النكاية والضراوة التي يعدها بعض الغالطين ظفراً.

وقد أحاط شيخ الإسلام بكثير من الوقائع والمقالات والزلّات والهنات التي لا يكاد يسلم منها أحد. غير أنه رَحِمَهُ اللهُ أبصرها ضمن فضائل أصحابها وسوابقهم؛ فحملته نفسه الكريمة على التماس المعاذير وتقديم التفسير دون التبرير؛ رعاية لحقوق المسلمين.

وقد وضع شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ منهجاً عامّاً له في التعامل مع الزلات وذلك في معرض كلام له عن التكفير فقال: «فمن كان قد آمن بالله ورسوله ولم يعلم بعض ما جاء به الرسول فلم يؤمن به تفصيلاً، إما أنه لم يسمعه، أو سمعه من طريق لا يجب التصديق بها، أو اعتقد معنى آخر لنوع من التأويل الذي يعذر به فهذا قد

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٢٩).

(٢) البخاري (٦٨٤٦)، ومسلم (٣٧٥٧) من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعاً.

جعل فيه من الإيمان بالله وبرسوله ما يوجب أن يثيبه الله عليه، وما لم يؤمن به فلم تقم عليه به الحجة التي يكفر مخالفها»[١].

وقال في موضع آخر: «وكذلك العباد إذا تعبدوا بما شرع من الأقوال والأعمال ظاهراً وباطناً، وذاقوا طعم الكلم الطيب والعمل الصالح الذي بعث الله به رسوله وجدوا في ذلك من الأحوال الزكية، والمقامات العلية، والنتائج العظيمة ما يغنيهم عما قد يحدث في نوعه؛ كالتغيير ونحوه من السماعات المبتدعة الصارفة عن سماع القرآن، وأنواع من الأذكار والأوراد لفّقها بعض الناس. أو في قدره: كزيادات من التعبدات أحدثها من أحدثها؛ لنقص تمسكه بالمشروع منها، وإن كان كثير من العلماء والعباد، بل والأمراء معذوراً فيما أحدثه لنوع اجتهاد. فالغرض أن يعرف الدليل الصحيح وإن كان التارك له قد يكون معذوراً لاجتهاده، بل قد يكون صدّيقاً عظيماً، فليس من شرط الصديق أن يكون قوله كله صحيحاً وعمله كله سُنَّة؛ إذ كان يكون بمنزلة النبي ﷺ»[٢].

نماذج تطبيقية:

١ ـ لمَّا بلغه قول بعض أهل العلم: «لعن الله أبا ذر

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٩٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ١٠٦)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، طبعة: مكتبة الرشد، الرياض.

الهروي؛ فإنه أول من حمل الكلام إلى الحرم، وأول من بثَّه في المغاربة»! قال معقِّباً معتذراً لجملة من المخالفين: «أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسُّنَّة لانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة، وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به. وكان قد قدم إلى بغداد من هراة فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم، فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم؛ كأبي نصر السجزي، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني، وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين لما ليس هذا موضعه، وهو ممن يرجح طريقة الصبغي والثقفي على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث. وأهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة ويدلهم على أصلها، فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق كما رحل أبو الوليد الباجي فأخذ طريقة أبو جعفر السمناني الحنفي صاحب القاضي أبي بكر، ورحل بعده القاضي أبو بكر ابن العربي فأخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد.

ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السُّنَّة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم، وصدق، وعدل، وإنصاف. لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة ـ وهم فضلاء عقلاء ـ احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب

ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين. وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم؛ لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم؛ لما وقع في كلامهم من البدع والباطل. وخيار الأمور أوساطها.

وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين. والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات، ونقول كما أمرنا تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول ﷺ، وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه؛ تحقيقاً للدعاء الذي استجابه الله لنبيه، وللمؤمنين حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ومن اتبع ظنه وهواه فأخذ يشنع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده، وهو من البدع المخالفة للسُّنَّة؛ فإنه يلزمه نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو من أصحابه. فقلَّ من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين؛ لكثرة الاشتباه والاضطراب، وبعد الناس عن نور النبوة، وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب، ويزول به عن القلوب الشك والارتياب»[1].

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨٣).

فللَّه دره، ما أرحمه بالأمة، وأعذره للمخطئ، وألطفه في التماس العذر.

٢ ـ ويقول عن قول الجنيد: «التوحيد إفراد القدم من الحدث»: «هذا الكلام فيه إجمال، والمحق يحمله محملاً حسناً، وغير المحق يدخل فيه أشياء... وأما الجنيد فمقصوده التوحيد الذي يشير إليه المشايخ وهو: التوحيد في القصد والإرادة، وما يدخل في ذلك من الإخلاص والتوكل والمحبة، وهو أن يفرد الحق سبحانه وهو القديم بهذا كله فلا يشركه في ذلك محدث، وتمييز الرب من المربوب في اعتقادك وعبادتك، وهذا حق صحيح وهو داخل في التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، ومما يدخل في كلام الجنيد تمييز القديم عن المحدث، وإثبات مباينته له بحيث يعلمه، ويشهد أن الخالق مباين للخلق؛ خلافاً لما دخل فيه الاتحادية من المتصوفة وغيرهم من الذين يقولون بالاتحاد معيناً أو مطلقاً»[1].

٣ ـ وينتصب للدفاع عن أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ ـ مع مخالفته له وتعقبه إياه في كثير من المسائل العقدية ـ ويذب عنه غلط الغالطين فيقول: «والأشعري ابتلي بطائفتين: طائفة تبغضه، وطائفة تحبه كل منهما يكذب عليه وتقول: إنما صنَّف هذه الكتب؛ تقية، وإظهاراً لموافقة أهل الحديث والسُّنَّة من

(١) الاستقامة (١/ ٩٢، ٩٣).

الحنبلية وغيرهم. وهذا كذب على الرجل؛ فإنه لم يوجد له قول باطن يخالف الأقوال التي أظهرها، ولا نقل أحد من خواص أصحابه ولا غيرهم عنه ما يناقض هذه الأقوال الموجودة في مصنفاته. فدعوى المدعي أنه كان يبطن خلاف ما يظهر دعوى مردودة شرعاً وعقلاً؛ بل من تدبر كلامه في هذا الباب - في مواضع - تبين له قطعاً أنه كان ينصر ما أظهره، ولكن الذين يحبونه ويخالفونه في إثبات الصفات الخبرية يقصدون ذلك عنه؛ لئلا يقال: إنهم خالفوه مع كون ما ذهبوا إليه من السُّنَّة قد اقتدوا فيه بحجته التي على ذكرها يعولون، وعليها يعتمدون. والفريق الآخر دفعوا عنه؛ لكونهم رأوا المنتسبين إليه لا يظهرون إلا خلاف هذا القول؛ ولكونهم اتهموه بالتقية، وليس كذلك، بل هو انتصر للمسائل المشهورة عند أهل السُّنَّة التي خالفهم فيها المعتزلة؛ كمسألة «الرؤية» و«الكلام» وإثبات «الصفات» ونحو ذلك، لكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة وخبرته بالسُّنَّة خبرة مجملة؛ فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السُّنَّة، واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول وبين الانتصار للسُّنَّة كما فعل في مسألة الرؤية والكلام والصفات الخبرية وغير ذلك. والمخالفون له من أهل السُّنَّة والحديث ومن المعتزلة والفلاسفة يقولون: إنه متناقض وإن ما وافق فيه المعتزلة يناقض ما وافق فيه أهل السُّنَّة، كما أن المعتزلة يتناقضون فيما نصروا

فيه دين الإسلام؛ فإنهم بنوا كثيراً من الحجج على أصول تناقض كثيراً من دين الإسلام»[١].

ثامناً: عفة اللسان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ**»[٢]. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ، وَلَا الطَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ**»[٣].

وفقاً لهذا المنهج النبوي سلك شيخ الإسلام في مخاطبة المبتدعة طريقاً رشداً، ومرَّ بلغوهم مروراً كريماً، وقال سلاماً، ولم يبتغ الجاهلين كما أدَّب الله عباده المؤمنين. وقرر أن أسلوب المهاترة والشتم والصياح لا يحق باطلاً ولا يبطل حقّاً، فقال معقباً على كلام بعض المخالفين:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٤، ٢٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠١)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٢٣) و(١١/ ٣٣)، والترمذي (٢٠٠٩). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه ابن حبان (٦٠٨)، وصححه الأرناؤوط كما في تحقيق مسند أحمد (١٦/ ٣٠٥)، وصححه الألباني من حديث أبي بكرة كما في صحيح الأدب المفرد (٤٩٩).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٤١٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣١٢)، وصححه ابن حبان (١٩٢)، والألباني في صحيح الأدب المفرد (١٣٠)، والأرناؤوط كما في تحقيق مسند أحمد (٧/ ٦١).

«هذا الكلام ليس فيه من الحجة والدليل ما يستحق أن يخاطب به أهل العلم؛ فإن الرد بمجرد الشتم والتهويل لا يعجز عنه أحد. والإنسان لو أنه يناظر المشركين وأهل الكتاب لكان عليه أن يذكر من الحجة ما يبين به الحق الذي معه والباطل الذي معهم؛ فقد قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]»[1].

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٨٦، ١٨٧).

الفصل الثالث

خاتمة وتوصيات

بعد هذا التحليق في أفق هذا العالم الرباني الذي جمع علماً راسخاً، وعقلاً راجحاً، وأدباً جمّاً، وتقىً، وورعاً، ورعايةً لحقوق الحق وحقوق الخلق يعود الطرف؛ ليبصر بعض الممارسات الواقعية التي غشيت الساحة الإسلامية في الفترة الراهنة، ليجد خروجاً عن السمت السلفي المعتدل، والأدب الرباني الرفيع، وطيش ميزان عبثت به الأهواء، والحنق، والنزق؛ فشان وجه السلفية الوضاء، وخرج بها عن البيضاء.

لقد أفرزت بعض الخلافات الاجتهادية بين أبناء الملة الواحدة مناكفات ومساجلات خرجت ببعض روادها عن المنهج القرآني النبوي السلفي الصحيح. وبات المنتمون إلى السُّنَّة المنادون إليها يفوهون بكلمات نابية وعبارات جارحة في حق إخوانهم الذين يسعهم وصف الإسلام والسُّنَّة ـ وإن اختلفوا معهم في بعض الاجتهادات ـ! وكان الأولى بهم أن يستعملوا في تقويم إخوانهم قيم (العدل) و(الرفق) و(الرحمة) التي تقدم التمثيل بها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية مع

خصوم أشداء خارجين عن نطاق السُّنَّة المحضة.

وقد أحصى أحد الدارسين ألفاظ الجرح التي صدرت من بعض أهل السُّنَّة تجاه من خالفه في بعض الجزئيات من طلابه ومعاصريه من أهل العلم والدعاة، وسردها على النحو التالي: (مغفل، مفلس، بوق، مذبذب، مزعزع، ضليل، ضائع، مائع، ملبس، حزبي، أضل من حمار أهله، ذو أوجه، صاحب هوس، جويهل، ملحد، زائغ، محترق، ممسوخ، ممسحة، حاطب ليل، غبي مجادل، غبي مكابر، مصلحي، لص، عميل، حلولي، مجادل، دساس، خائن؛ كذاب؛ كذاب أشر، تدحرج قليلاً قليلاً، فاسق، لا يساوي بصلة، لا يساوي كلامه بعرة، لا يساوي فلساً، فيه ما فيه، منحرف، ليس بمأمون، مخزِّن، مدخن، متنتن، نكبة، الطالب العاق، عمائم على بهائم، لصوص دعوة، أصحاب لفلفلة، الأنعام السائبة، الغنم السائمة، بقر، قبَّحه الله، لا بارك الله فيه، لا جزاه الله خيراً، ساقطون، حزبية مغلفة، سلفية مزيفة، من أئمة الضلال، مفلس في توحيد الألوهية)[1]!!.

وعامة هذا المسرد ألفاظٌ يستعملها المحدثون في نقد الرواة؛ صيانةً للحديث النبوي، فلا يستقيم إشهارها سلاحاً في الخلافات الدعوية والفقهية الاجتهادية.

---

(١) انظر: الشيخ... آراؤه العلمية الدعوية دراسة وتقويم (١٧٩ ـ ١٨٠)، تأليف: محمد بن موسى العامري.

لا بدَّ أن يتحلى الخطاب السلفي المعاصر بالعدل والإنصاف، ويتحاشى جميع صور الحيف والظلم. ومن العدل أن يعترف لأهل الفضل بفضلهم، ويثني بالخير على باذليه دون أن يكون ذلك منافياً للشهادة لله والقيام بالقسط، أو القيام لله والشهادة بالقسط، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأمر سبحانه بالقيام بالقسط وهو العدل في هذه الآية، وهذا أمر بالقيام به في حق كل أحد عدوّاً كان أو وليّاً، وأحق ما قام له العبد بقصد: الأقوال، والآراء، والمذاهب؛ إذ هي متعلقة بأمر الله وخبره، فالقيام فيها بالهوى والمعصية مضاد لأمر الله، مناف لما بعث به رسوله. والقيام فيها بالقسط وظيفة خلفاء الرسول في أمته وأمنائه بين أتباعه. ولا يستحق اسم الأمانة إلا من قام فيها بالعدل المحض؛ نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولعباده، وأولئك هم الوارثون حقّاً، لا من يجعل أصحابه ونحلته ومذهبه معياراً على الحق وميزاناً له، يعادي من خالفه ويوالي من وافقه بمجرد موافقته ومخالفته، فأين هذا من القيام بالقسط الذي فرضه الله على كل أحد؟! وهو في هذا الباب أعظم فرضاً وأكبر وجوباً»[(١)].

(١) الرسالة التبوكية (٣١، ٣٢)، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر =

يجنح الخطاب السلفي في كثيرٍ من بياناته ونقده للمخالفين بسبب حماسه للحق إلى نوعٍ من الظلم والإجحاف، وإهدار فضائل الآخرين. وليس ذلك من أصل المنهج لكنه طارئ عليه من بعض مؤيديه الغاضبين له، في أجواء محمومة وتحت ضغوطٍ ومظالم أشد من مخالفيهم. ولا ريب أن المنكر لا يقابل بمثله، ولا يصحح الخطأ بخطأ مماثل، وإنما يصحح الخطأ بالصواب والرد إلى كلمة سواء.

وقد جرى في مطاوي التاريخ العقدي شيء من ذلك، ويجري الآن بين الجماعات المنتسبة إلى أهل السُّنَّة عموماً أكثر من ذلك، بل ويجري بين الجماعات المنتمية إلى السلفية أكثر من ذلك! وما ذاك إلا لغياب عنصر (العدل)، ودخول الهوى والمواقف الشخصية في الميزان، أو مقابلة الخطأ بخطأ مثله، وقد قال نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

ومن صور الظلم المنافي للعدل الجاري على بعض ألسنة المتحدثين أو الكاتبين:

١ ـ بخس الناس حقوقهم: فيقول عن عالمٍ ما إنه لم يأت بجديد! وربما كان من كبار المحدثين! أو عن طائفة ما:

= أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية، المتوفى ٧٥١هـ، تحقيق: د. محمد جميل غازي، طبعة: مكتبة المدني، جدة.

إنها أفسدت الدين! وربما كانوا من عظماء الفاتحين، أو عن جماعة ما: ما صنعت للإسلام شيئاً! وربما كانت من أبلغ الدعوات تأثيراً وإنتاجاً ـ ولو مع شائبة ـ. وكان يسعه أن يقول في هذا وذاك وتلك: فيه تفصيل.

٢ ـ التسوية بين المختلفات: بأن يَحشد المخالفين في خندق واحد، ويصمهم بتهمة سواء! كأن يقول عن فرقة ما: إنهم أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والمشركين! وربما انطبق على غلاتهم دون مقتصديهم، أو يصم عالماً ما ببدعة دون نظر إلى تفاوت المقالات، أو التماس المعاذير، أو كون ذلك نزراً يسيراً، مغموراً في جنب فضائله. فالعدل قامت به السماوات والأرض.

ومن المقرر شرعاً أن «الشارع حكيم لا يفرق بين متماثلين إلا لاختصاص أحدهما بما يوجب الاختصاص، ولا يسوي بين مختلفين غير متساويين، بل قد أنكر سبحانه على من نسبه إلى ذلك، وقبح من يحكم بذلك، فقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨]»[1].

«وهو ﷻ كما يفرق بين الأمور المختلفة فإنه يجمع ويسوي بين الأمور المتماثلة، فيحكم في الشيء خلقاً وأمراً

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٢٧).

بحكم مثله، لا يفرق بين متماثلين، ولا يسوي بين شيئين غير متماثلين، بل إن كانا مختلفين متضادين لم يسو بينهما»[(١)].

لا بدَّ للخطاب السلفي من التجرد للحق وقول الحق، والحكم على الذوات والأحداث بالحق. ولا بدَّ أن يكف بعض دعاة السلفية عن إهدار حقوق مخالفيهم والضرب على فضائلهم ومنجزاتهم. لا بد أن نقول للمحسن: أحسنت، وللمسيء: أسأت. ولا يمنعنا ذلك أن نقول للمحسن: أحسنت في كذا، وأسأت في كذا، وللمسيء: أسأت في كذا، وأحسنت في كذا؛ فذلك أدعى للقبول. ولا ينقضي العجب ممن ينكر هذا المسلك العادل، وينسب السلف إلى غمط الحق وازدراء الناس!

فما أحرى دعاة السلفية في خطابهم المعاصر الذي يتقدمون به إلى أهل ملتهم وإلى الناس كافة أن يستعملوا هذا الميزان؛ فإن الله جعله قريناً للقرآن، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى: ١٧]، وبعث بذلك رسله فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٩) وينظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٢٢٥)، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عزير شمس، طبعة: دار عالم الفوائد، الطبعة: الأولى، رسالة في معنى كون الرب عادلاً (١/ ١٢٤) تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد رفيق سالم.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ووصف الله إرسال نبيه ﷺ بالرحمة فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال ﷺ: **«إني لم أبعَثْ لَعَّاناً، وإنما بُعِثْتُ رحمة»**(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أرسله رحمة لهم كلّهم، فمن قَبِل هذه الرحمةَ، وشكَر هذه النعمةَ، سَعد في الدنيا والآخرة، ومن رَدّها، وجحدها، خسر في الدنيا والآخرة»(٢).

وبناءً على هذا الأصل الأصيل: فلا بد أن يصطبغ الخطاب السلفي بصبغة الرفق، وأن تسكنه الرحمة، وأن يُشعر المخاطبين بروح النصح والشفقة، وينأى عن الشدة والغلظة. وهكذا كان خلقه ﷺ قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وبهذا وصى؛ فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ! فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ، وَاللَّعْنَةُ. فَقَالَ: **«يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ، يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»**. قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: **«قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»**(٣). وفي رواية:

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٠٥) من حديث أبي هريرة.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٨٥)، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٦٥).

«وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»(١).

فيجب أن يراعي الخطاب المعاصر استعمال الرفق (في الأمر كله)؛ في القول، والفعل، مع النفس، ومع الآخرين، مع كافة المدعوين؛ من المؤمنين، والمبتدعة، والكفار، إلا أن يكونوا محاربين، أو متمحضين لبدعتهم؛ لقوله تعالى في صفة الصحابة: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وتلك قضية يدل عليها العقل كما يدل عليها النقل؛ إذ لا يمكن القبول من غليظ معنِّف.

ويلاحظ كثيراً على الخطاب السلفي المعاصر نوع شدة، ربما كانت نابعةً من الطبيعة القوية لبعض معتنقيه، وحماسهم للحق الذي أبصروه. وقد وقع من بعض السلف غلظة على المخالفين من أهل البدع؛ إما لظهور السُّنَّة وفشو العلم بما لا يحتمل عذراً للمخالف كما جرى من عمر رضي الله عنه مع صبيغ بن عسل، أو ما جرى من الإمام مالك رحمه الله مع السائل عن كيفية الاستواء. وإما لشناعة بدعتهم وعدم المسوغ المحتمل، كما وقع من الإمام الدارمي رحمه الله في نقضه على بشر المريسي والجهمية، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٣) (٢٥٩٣).

وربما حصل تشنيع زائد لأسباب وقتية تقدر بقدرها وتقرأ في سياقها، كما وقع من السجزي في رده على الأشاعرة. وهذا تفسير لا تبرير، فخير الهدي هدي محمد ﷺ فهو الإنسان الكامل والمعيار المعصوم.

وقد آل الحال لدى بعض السلفيين المعاصرين إلى فظاظة شديدة في تعامله مع من يراهم حائدين عن منهج السلف، فاستعمل أقذع السباب، وكال أشد التهم، ثم حمله هذا المسلك الطائش إلى الانقضاض على من خالفه خاصة أصحابه حين اختلفوا في جزئيات وفروع، فسوَّد الصفحات وملأ المكتبات، وحمَّل خلايا الشبكة العنكبوتية بألوان الردود، وقابله الموتورون بمثله، فصاروا سُبة عند العقلاء، ضُحكة للسفهاء؛ كمداً في نفوس الغيورين على السُّنَّة وأهلها. وإلى الله المشتكى، وهو المستعان.

وقد أثبت التاريخ والواقع أن الله كتب القبول لذوي الرفق واللطف والتودد. فمن تأمل في سيرة الشيخ عبد الرحمٰن السعدي، وابن باز، وابن عثيمين، وغيرهم - رحمهم الله - وجد الدليل العملي على صواب هذا المنهج.

كما أن من اعتبر بسيرة بعض أهل العنف والجفاء وجد أنهم أفسدوا مشروعهم العلمي والإصلاحي بافتعال الشغب، والتحريش بين الناس باسم الجرح والتعديل، وتنزيل طريقة السلف في معاملة المبتدع تنزيلاً غير حكيم. والله يغفر

للجميع. فرفقاً يا أهل السُّنَّة بأهل السُّنَّة[١]، و«**ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء**»[٢].

يجب صياغة خطاب (مصالحة) بين المؤمنين، والكف عن الشجار، والدعوة إلى الوحدة والائتلاف، ونبذ التفرق والاختلاف على مستويين:

الأول: مع أنفسهم: فيكفوا عن التنقير وتلقط الزلات، وافتعال الخصومات، ويستعيذوا بالله من شرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحذروا من (الشهوة الخفية) وهي: (حب الترؤس)، و(تكثير الأتباع).

ومن لازم ذلك: الكف عن السجال الكلامي وتدبيج الردود ذات العناوين المسجوعة التي تعج بها رفوف المكتبات، وغرف الصوتيات.

ومن لازم ذلك: التلاقي، والتغافر، والتعافي، وتوحيد المواقف، وترتيب الأولويات، وعدم التشاغل بالمتشابهات،

---

(١) انظر: رسالة وجيزة قيِّمة للشيخ عبد المحسن العباد البدر بهذا اللفظ (رفقاً أهل السُّنَّة بأهل السُّنَّة).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٠)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤م) من طريق أبي قابوس، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، يبلغ به النبي ﷺ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٩) ووافقه الذهبي، وصححه الأرناؤوط لغيره، كما في تحقيق مسند أحمد (١١/ ٣٣).

والتعاون على إقامة الدين، وعدم التفرق فيه: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

الثاني: مع المخالفين من المشمولين بوصف السُّنَّة: بالتناصح، والتعاون على البر والتقوى، والرد إلى الله والرسول في قضايا النزاع؛ كما أمر الله تعالى فقال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ومن لازم ذلك: أن ينأى الخطاب السلفي عن المخاشنة، ويتخفف من العبارات الحادة، ويضبط معادلة (القوة في الحق، والرفق بالخلق).

ومن لازم ذلك: أن يميز الخطاب السلفي بين ألوان الطيف بدقة، ولا يحشر المخالفين في خندق واحد، ولا يستعدي المسالمين، ولا يستكثر من الخصوم.

هذا، والله المسؤول وحده أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه الإسلام والسُّنَّة، ويذل فيه الكفر والبدعة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المراجع

١ ـ **أدب الطلب ومنتهى الأرب**، تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، طبعة: دار ابن حزم، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢ ـ **الأدب المفرد المؤلف**، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستفيدًا من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣ ـ **إرشاد الفحول إلى تحرير النقول في تصحيح حديث العدول رواية ودراية ورعاية**، تأليف: سليم بن عيد الهلالي، طبعة مكتبة الفرقان دبي.

٤ ـ **الاستغاثة في الرد على البكري**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد علي عجال، طبعة مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٥ ـ **الاستقامة**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٦ ـ **الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية**، تأليف: أبي حفص عمر بن علي بن موسى البزار، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.

٧ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، طبعة مكتبة الرشد.

٨ ـ **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، المعروف بابن القطان، تحقيق: د. الحسين آيت سعيد، طبعة: دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٩ ـ **تاريخ دمشق**، تأليف: ناصر السُّنَّة ومؤرخ الشام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر الدمشقي، طبعة دار الفكر.

١٠ ـ **التدمرية**، تحقيق: الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، طبعة: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١١ ـ **التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار**، تأليف: أحمد بن إبراهيم الواسطي المعروف بابن شيخ الخزاميين، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، مكتبة ابن الجوزي، الأحساء، ١٤٠٨هـ.

١٢ ـ **تفسير القرآن العظيم**، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٣ ـ **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**، تأليف: زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، تحقيق: عبد الرحمٰن محمد عثمان، طبعة: محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

١٤ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**، تأليف: عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله السعدي المتوفى: (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٥ ـ **الجامع الصحيح وهو «سنن الترمذي»**، تأليف: أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين.

١٦ ـ **جامع المسائل لابن تيمية**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عزير شمس، طبعة دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى.

١٧ ـ **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه «صحيح البُخَاريّ»**، تأليف: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، طبعة دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٨ ـ **درء تعارض العقل والنقل**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٩ ـ **ذيل طبقات الحنابلة**، تأليف: زين الدين عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين، طبعة: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٠ ـ **الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر**، تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، الشهير بابن ناصر الدين، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

٢١ ـ **الرد على البكري**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد علي عجال، طبعة مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٢ ـ **الرد على المنطقيين**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، طبعة: دار المعرفة ـ بيروت.

٢٣ ـ **الرسالة التبوكية**، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق: د. محمد جميل غازي، طبعة: مكتبة المدني، جدة.

٢٤ ـ **رسالة في معنى كون الرب عادلاً**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٢٥ ـ **سنن ابن ماجه**، تأليف: أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، بعناية: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي.

٢٦ ـ **سنن أبي داود**، تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: دار الفكر.

٢٧ ـ **السنن الكبرى**، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبعة: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٨ ـ **سير أعلام النبلاء**، تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف: الشيخ شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٩ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تأليف: أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العَكري الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرَّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، طبعة: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٠ ـ **شرح العقيدة الأصفهانية**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، طبعة: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣١ ـ **شرف أصحاب الحديث**، تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمد سعيد أوغلي، طبعة دار إحياء السُّنَّة النبوية، أنقرة.

٣٢ ـ **شعب الإيمان**، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرَّج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي، الهند، طبعة: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣٣ ـ **الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية**، تأليف: مرعي بن يوسف الكرمي، المتوفى (١٠٣٣هـ)، تحقيق وتعليق: نجم عبد الرحمٰن خلف، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٣٤ ـ **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تأليف: أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي الدارمي البُستي، ترتيب: علاء الدين علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي، المنعوت بالأمير، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة.

٣٥ ـ **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، تأليف: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٦ ـ **الصفدية**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة مكتبة ابن تيمية، مصر.

٣٧ ـ **الطبقات الكبرى**، تأليف: أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، طبعة: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

٣٨ ـ **طريق الهجرتين**، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية، طبعة دار عالم الفوائد.

٣٩ ـ **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية**، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي، تحقيق: علي بن محمد العمران، طبعة دار عالم الفوائد، ١٤٣٢هـ.

٤٠ ـ **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية**، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة: دار الكاتب العربي، بيروت.

٤١ ـ **الفتاوى الكبرى**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٢ ـ **الفتوى الحموية الكبرى**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، طبعة: دار الصميعي، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٤٣ ـ **الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، طبعة: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤٤ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تأليف: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، طبعة: مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٥ ـ **القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي**، تأليف: صفي الدين الحنفي البخاري، طبعة دار لينة، دمنهور بمصر.

٤٦ ـ **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمٰن العريفي، ناصر بن يحيى الجنيني، عبد الله بن عبد الرحمٰن الهذيل، فهد بن علي المساعد، طبعة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

٤٧ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال**، تأليف: أبي أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ـ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، طبعة الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٨ ـ **كتاب السُّنَّة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السُّنَّة**، بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، تأليف: أبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، طبعة: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٤٩ ـ **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تأليف: أبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، طبعة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥٠ ـ **الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية**، تأليف: مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: نجم عبد الرحمٰن خلف، طبعة: دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦هـ.

٥١ ـ **مجموع الفتاوى**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمٰن بن محمد العاصمي النجدي، الطبعة: الأولى بالرياض، سنة ١٣٨١هـ.

٥٢ ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، طبعة: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٣ ـ **المستدرك على الصحيحين**، تأليف: أبي محمد بن عبد الله عبد الله الحاكم النيسابوري، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٥٤ ـ **المستدرك على مجموع الفتاوى**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٥ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تأليف: أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، طبعة: مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٥٦ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تأليف: أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، طبعة: مؤسسة الرسالة، القاهرة.

٥٧ ـ **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)**، تأليف: أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، طبعة: دار الجيل بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية.

٥٨ ـ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٩ ـ **مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح**، مؤلف «**علوم الحديث**»: أبي النصر عثمان بن الصلاح عبد الرحمٰن بن موسى بن الشافعي، ومؤلف «**محاسن الاصطلاح**»: سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعيّ، تحقيق: د. عائشة عبد الرحمٰن (بنت الشاطئ) أستاذ الدراسات العليا، طبعة: دار المعارف.

٦٠ ـ **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**، تأليف: برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٦١ ـ **منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦٢ ـ **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، تأليف: محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٦٣ ـ **النبوات**، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، طبعة: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٦٤ ـ **النكت على مقدمة ابن الصلاح**، تأليف: بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، طبعة: أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٦٥ ـ **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، طبعة: دار الحديث ـ القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* مقدمة	٥
• الفصل الأول: ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية	١١
• الفصل الثاني: القواعد المنهجية التي سار عليها شيخ الإسلام ابن تيمية في تقويم المخالفين	١٨
أولاً: العلم بالحال	١٩
ثانيًا: العلم بالمقال	٢٤
ثالثًا: العدل والإنصاف	٣٠
رابعًا: التميز والتفصيل	٣٨
خامسًا: القوة في الحق	٤٥
سادساً: الرحمة بالخلق	٤٩
سابعًا: الاعتذار	٥٢
ثامنًا: عفة اللسان	٥٨
• الفصل الثالث: خاتمة وتوصيات	٦٠
* فهرس المراجع	٧١